العلم في التعليم[1]

(١)

عيوب التعليم الحالي

تعدُّ الحرب الحاضرة من وجهة عامة تنازع بقاء بين صنفين من الهيئة الاجتماعية المنظمة الواحد الاتقراطي المبني على تسلط حزب عسكري . والثاني الدمقراطي المبني على تسلط الرأي العام او رأي الجمهور . واذا قابلنا بين المانيا وانكلترا وجدها وجدنا ان النزاع في الحقيقة بين صنفين من الخاصة الواحد العسكريّ والآخر المالي الاستقراطي . ولكن لا جدال في ان فوز الاول يفضي الى شدّ الخناق على الامة في حين ان فوز الثاني فوزاً كاملاً يحفظ لها قابليتها للارتقاء الذاتي ويزيدها قوة ويضمن بقاء الخاصة التي من شأنها نقل القوة السياسية اخيراً الى ايدي الاكثرية من الامة . وبعبارة اخرى نقول ان فوز المانيا يؤدي الى تعزيز الحكم الاستقراطي وفوز انكلترا يؤدي الى صيرورة نظام الحكومات وشكلها دمقراطياً شيئاً فشيئاً

ومن لوازم بقاء الحكومات في تنازع البقاء سواء كان هذا التنازع بالتجارة السلمية او بالحرب السير بالقوة التنظيمية في سبيل الكمال . ومن الناس من يقول ان في الدمقراطية عيوباً خلقية هي اولاً عدم قدرتها على السير بالقوة التنظيمية المشار اليها في سبيل الكمال . وثانياً عدم قدرتها على ايجاد رؤساء اكفاء للادارات العمومية . وثالثاً عجزها عن تربية جميع اعضائها وتأهيلهم لاعمالها في حين ان هذه التربية وهذا التأهيل لازمان لامارة كل امة عزيزة في السلم او الحرب

وان في نجاح المانيا في الحرب مدة اربع سنوات لدليلاً على تفوقها في شكل حكومتها ولاسيما اذا ذكرنا ما كان للحلفاء من المزايا المادية عليها وما هي عليه من ضعف مكانها النسبيّ . ولو خرجت من الحرب لا عليها ولا لها اي لو تمكنت من

(١) مقالة للاستاذ ستار لنج نشرت في يناير الماضي في مجلة « تقدم العلم » التي تصدر مرة كل ثلاثة اشهر

عقد الصلح على شروط تساوي بها اعداءها لخرجت منها رابحة . فان مجرّد وجودها كدولة عسكرية يمكنها من فرض شكل حكم عسكريّ على الدمقراطيات التي تحققن بها ويكون همّ هذه الدمقراطيات الاعظم مدى سنين كثيرة المحافظة على سلامتهن بادامة التسلّح والتأهب الحربي مما ناء بامهنّ حملهُ قبل الحرب

ولو ان المانيا ظفرت بالصلح الذي كانت تبغيه وهو الصلح المبني على انتصارها وانكسار الحلفاء ما قرّبا ذلك قيد اصبع من معرفة ايّ اشكال الحكم هو الشكل الافضل . وليست التجربة الفادحة الواسعة النطاق التي كانت تجرّب امام عيوننا (اي الحرب) ما يسميهِ رجال العلم تجربة محضة لأن شكل الحكومات لم يعيّن لنا مجرى الحرب ولا كانت لهُ اليد الطولى في رجحان كفة هذا الفريق ثم كفة ذاك . والحلفاء وفي جملتهم روسيا الاتقراطية وانكلترا الدمقراطية وفرنسا الجمهورية اهملوا العلم كلام واخطأوا فهم التعليم او احتقروهُ . وقد صدقت لهم في هذا النضال امة ادركت منذ عهد نبوليون ان التعليم افعل الوسائل في زيادة قوتها واسباب رقيها . فكانت نتيجة ذلك ان الالمان عامة عرفوا ان العلم هو ادراك الحقائق التي لا غنى لرجال الدولة عنها اذا شاءوا التصرف باحوال محيطهم المادية والاشراف عليها وادارة زمامها . عرفوا ذلك وقدروهُ حق قدرهِ فاستخدموا الوسائل الصناعية المبنية على العلم في صنع ذخائر الحرب وامدّتهم جامعاتهم المائلة جوانب البلاد برجال اكفاء ليملأوا دوائر الحكومة القديمة ودوائرها الجديدة التي رسمتها الحرب . وتعمق الالمان في درس المسئولة العلم الاساسية وهي ان سرّ النجاح في هذه الحياة انما هو التوسّل بالمعارف الصحيحة الدقيقة للتكهن بالحوادث المقبلة قبل وقوعها باشهر بل بسنين والتأهب لها والتحكم فيها لقضاء غايتهم الوطنية

فنتج من ذلك ان الالماني البطيء الحركة البليد الذهن كان اسرع الى الهجوم والتأثر بردّ الفعل والدوران مع الحرب كيفما دارت من الفرنسوي الماضي الذهن السريع الحركة . وفاق الانكليز انفسهم في الصفات التي ظالما ظنناها مواهب خصصنا بها وفي مقدمتها الابتكار وسعة الحيلة . وكان سلاحنا في وجه ما ابدت الامة الالمانية من سعة الحيلة وحب النظام يدفعها دافع واحد وتستفزها فكرة واحدة —

بلادة مؤسسة على الشهامة ولطف المعاملة جنبت عليها من الشقاء والبلاء ما لم يجلبهُ الالمان بمكراتهم المدبرة المعتمدة . ولولا ما ابدى شبابنا من البسالة لاوردتنا بلادتنا موارد الهلاك

فقد كانت قيادتنا ضعيفة عن جهل القواد لا عن جبهم لانفسهم . ولبت الامة داعي الوطنية ايما تلبية رغم تربية علمت الطبقات الحاكمة ان واجبهم الاول محصور في عشيرتهم او حزبهم او مناصبهم . ولما كانت قلوب قرمنا صحيحة فقد استطاعوا في الازمة الوطنية الكبرى ان يدمجوا الصغير في الكبير — الحزب او الطبقة في جسم الامة ولكن بقوا متحصرين تحصيراً بيناً بسبب فقر تعليمهم وهو تعليم من مآله اخراج رجال من المدارس الى اعمال هذه الحياة واشغالها وهم لا يعرفون شيئاً عن طبيعة هذا العالم المحيط بهم ولا عن سلسلة الاسباب الطبيعية للماجريات التي يتألف كيانهم منها . وقد كان هذا التعليم يرمي ايضاً الى احتقار كل معرفة لا تجرُّ على صاحبها مغنماً ماديًّا عاجلاً

وجوب الاصلاح

لما كان زعماء الامة وبعضهم من خيرة من اخرجهم نظام التعليم الحالي قد شفُّوا عن جهل للحقائق الاولية فلا عجب اذا عمت الامة عامة وقد جعلت تتساءل أليس في ذلك النظام خلل او عيب ورأيناها تطلب الاصلاح وخصوصاً في جهة ادخال قسط اوفر من العلوم الطبيعية والمعارف الحديثة الى مدارسنا وجامعاتنا. ولكن كل حركة في سبيل الاصلاح تثير حركة مضادة لها من جانب المحافظين بفطرتهم او بسنتهم الذين تأصل في صدورهم تفوُّق النظام العتيق الذي ربوا فيهِ وشبوا عليهِ ورسخ في اذهانهم ان كل انقلاب اساسيٍّ يعرض الامة للخطر

ثم انتقل الكاتب الى المقابلة بين الذين يقولون بوجوب بقاء القديم على قدمهِ من حيث تعليم آداب اليونانية القديمة واللاتينية في الجامعات وبين الذين يقولون بوجوب الاخصاء في جميع فروع العلوم فقد المذهبين وقال ان كل تعليم قاعدتهُ الكيمياء مثلاً دون غيرها لا يختلف عن تعليم قاعدتهُ درس اشتقاق اليونانية القديمة فانهما كليهما ناقصان عديما الجدوى . ولا حرج على الحكومة في استخدام الاخصائيين بل يجب عليها ان تقدرهم قدرهم وتعرف كيف تستخدمهم

لاغراضها العظمى . على اننا لا نبلغ غاية الحكمة بجعل جميع الناس اخصائيين فقد يكون الاساتذة واعضاء البرلمان سوسية في الجهل عندما يخرجون من دوائر اختصاصهم وزوايا المعرفة التي تستذري بظلّ اختبارهم

وانما حداني على وضع ما يخيل اليّ انهُ المبادىء الاولية لكل تعليم ظنّ كثيرين ان بين العلم والآداب التدعة مثلاً تضاداً كثيراً . والمعترف بهِ الآن عموماً ان تعليم الامة احد واجبات الحكومة . وعليهِ تتولى الحكومات في هذا الزمان الاشراف على جميع اطوار التعليم زاد هذا الاشراف او قلّ . وقد زاد الاشراف في السنين الاخيرة بزيادة الاموال العمومية المعينة للتعليم . ولا ريب ان مسئولية الحكومة تزداد سريعاً بنمو الشعور بعظم شأن التعليم في سبيل خير الامة ورقيها

اغراض التعليم

يجب ان يؤهل كل فرد بتعليمهِ ليعمل في الجماعة عملهُ الآتل الى الخير العامّ اي ان يكون ذا عافية ووطنياً صالحاً او حقيقياً وعضواً نافعاً في الجماعة

اما العافية فلا اطيل الكلام عليها اذ الجميع متفقون على معنى لفظة صحة او عافية وعلى افضل الوسائل للحصول عليها . فكلّ مشروع يوضع لتنشئة الصغار في كلّ امة يعترف فيهِ ضمناً بلزوم الهواء النقي والطعام الجيد والمسكن النظيف والرياضة البدنية لهم . ولكن لا بأس ان نبحث بعض الشيء في المراد حقيقة بلفظة « الوطني الحقيقي » « والنافع » فنقول ان طوائف الناس مختلفون في معنى الوطني الحقيقي . على ان هذه الاختلافات او الفروق تنطوي على معنى مشترك بينهم جميعاً . فالوطني الحقيقي هو الذي يعمل حيث كان باتفاق مع سائر اعضاء الجماعة التي هو منها ويحافظ على قوانينها وعاداتها ويقدر على اخضاع خيره الخاص قلباً وقالباً لخير الجماعة التي هو عضو منها . يندرج تحت هذا ان الفرد في سني حداثتهِ رغم على السير في طرق معينة وبذلك استمدّ من محيطهِ عادات بدنية وعقلية كيفت سلوكه الظاهر بل عواطفهُ الباطنية تكييفاً نافعاً للجماعة

ولقد حسبت كلّ امة تنشئة الوطني الحقيقي الجزء الاول والاهم من تعليم بنيها . وبلغ من اهتمامها بوضع قانون اجتماعي لها والمحافظة عليهِ حسبان ان لهُ

الشأن الاعظم في حفظ قوانها وتمكينها من مقاومة كلّ اعتداء خارجي انها وكلت وضع هذا القانون وحفظهُ في احوال كثيرة الى طبقة خاصة هي طبقة رجال الدين. ففرضت عقوبات كبيرة لاصغر مخالفة واستعين بجميع موارد الآداب والفنون وكل ما يؤثر في عقل الانسان وحواسهِ لوضع قاعدة سامية للصلاح ولتقوية العواطف التي تبعث عليها. فلا عجب والحالة هذه اذا عهد الى رجال الدين في تربية الصغار بين كثير من الامم. وقد كان همهم الاول والآخر تنشئة وطنيين حقيقيين اما غاية التعليم الاخرى وهي تنشئة وطنيين نافعين فكان يوصل اليها بالتمرن على فنون الحرب والسلم حتى جاء العلم الحديث بوسائط غيرها

وسيأتي الكلام في المقالة التالية على تمرين الاخلاق ووظيفة التمرين في الاختبار الانساني واهمية تعليم اللغات والعلوم الطبيعية والتربية والحرية الشخصية

الصلح وجمعية الامم

تابع ما قبلهُ

الفصل السابع

في تبعة جنايات الحرب

يتهم الحلفاء علانية الامبراطور السابق ولهلم الثاني « بارتكابهِ الجريمة العظمى ضد الآداب الدولية وحرمة المعاهدات » وسيطلب من الحكومة الهولندية تسليمهُ وتؤلف محكمة خاصة من قاض واحد لكل دولة من الدول الخمس العظمى وتهتدي هذه المحكمة باسمى المبادىء في السياسة الدولية ويناط بها مهمة تعيين العقاب الذي ترى وجوب انزالهِ . ويؤلف الحلفاء محاكم عسكرية لمحاكمة المتهمين بارتكاب افعال خرقوا بها قوانين الحرب وعرفها . وعلى الحكومة الالمانية ان تسلم جميع الاشخاص المتهمين بهذه التهم وتعين كل دولة من دول الحلفاء محاكم كهذه لمحاكمة الذين ارتكبوا اموراً جنائية ضدّ رعاياها ويحق للمتهمين ان يعينوا المحامين عنهم وتتعهد الحكومة الالمانية بان تقدم جميع الاوراق والمعلومات التي يطلب ابرازها